



أدب الخيال العلمي في التراث الشعبي العربي

قراءة في كتاب الخيال العلمي في الأدب لمحمد عزام

Science fiction literature in Arab folklore (a reading of the book Science fiction in literature) by Muhammad Azzam

لطفي عبد الكريم*، جامعة تلمسان، lotfi.karim13@yahoo.fr

تاريخ المقال

القبول: 2024-03-24

الإرسال: 2024-02-18

النشر: 2024-05-06

ملخص البحث

الكلمات المفتاحية

الخيال
- العلم
- أدب
- حكايات
- خوارق

ساهم الخيال العلمي كثيرا في تكوين الحضارات التي عرفها الإنسان عبر حقبه الزمنية المتباعدة، وبفضله وصل الإنسان إلى تحقيق الكثير من الإنجازات الحضارية التي نشهدها، ونظرا لهذه الاختراعات المتسارعة التي يعيشها العالم اليوم، أصبح قراءة أدب الخيال العلمي والاطلاع على جهود الأدباء والمفكرين فيما يخص هذا الصنف من الأدب من الضروريات لكل من يرغب في تحقيق أهداف وتصورات رسمها خياله، وبالتالي يمكن القول أنه لم يعد أدب الخيال العلمي مجرد وسيلة ينفّس بها القارئ عن نفسه لينسى هموم حياته اليومية فيطلق العنان لخياله من أجل الجنوح إلى عوالم من الخوارق والمستحيلات، بل أضحت وسيلة استشرافية يخطط بها القارئ مستقبله و يبينه قبل تحقيقه. فإذا كان تلك حقيقة الخيال العلمي وضرورة قراءته وتعليمه، فهل تعتبر الحكايات الشعبية التراثية التي حملتها المصنفات العربية وغير العربية قاعدة لتحقيق هذا النوع من الأدب؟، وهل تمّ العودة إليها من طرف الأدباء قصد استخلاص واستحداث موضوعات أدب الخيال العلمي؟. هذا ما سنتعرض إليه من خلال إعادة قراءة لكتاب - الخيال العلمي في الأدب لمحمد عزام.

Abstract

Science fiction has significantly contributed to shaping civilizations throughout the diverse epochs of human history. Thanks to its influence, humanity has achieved numerous cultural milestones. In light of the rapid technological advancements witnessed in today's world, reading science fiction literature and exploring the efforts of writers and thinkers in this genre have become essential for those aspiring to achieve goals and visions fueled by their imagination. If this is the reality of science fiction and its imperative to read and study it, can traditional folk tales carried by Arabic and non-Arabic literature be considered a foundation for creating this type of literature? Have writers returned to them to extract and develop themes for science fiction literature? This will be explored through a reexamination of the book "Science Fiction in Literature" by Mohamed Azam.

Keywords

Imagination
- Science
- Literature
- Folktales
Supernatural

1 - تمهيد

يحي الإنسان دنياه متشبثاً بأماله ، مؤمناً بتحقيق أمانيه التي تخيلها و رسمها لنفسه، هدفه وغايته تغير نمط عيشه للأفضل والأنسب، وفي ذلك يعتمد على كل طاقاته . إنه يتخيل أشياء ويتفكر فيها، ويحاول أن يفهم مسارها ثم يبدأ العمل بأمل أن يصل إلى تحقيقها . فذلك هو الخيال العلمي.

فالخيال العلمي ساهم كثيراً في تكوين

الحضارات التي عرفها الإنسان عبر حقبه الزمنية المتباعدة ، وبفضله وصل الإنسان إلى تحقيق الكثير من الإنجازات الحضارية التي نشهدها ، ونظراً لهذه الاختراعات المتسارعة التي يعيشها العالم اليوم أصبح "قراءة الخيال العلمي أمراً لازم للمستقبل" ¹ (صفات سلامة 2011)، فتصفح أدب الخيال العلمي والاطلاع على جهود الأدباء والمفكرين فيما يخص هذا الصنف من الأدب أصبح من الضروريات لكل من يرغب في تحقيق أهداف وتصورات رسمها خياله ، إنه – أي أدب الخيال العلمي – وسيلة استشرافية يخطط بها القارئ مستقبله و يبينه قبل تحقيقه ، فهو بمثابة تدريب أساسي لمن يتطلع إلى الأمام أكثر من عشر سنوات،²(صفات سلامة 2011) وبالتالي يمكن القول أنه لم يعد أدب الخيال العلمي مجرد وسيلة يتفكك بها القارئ عن نفسه لينسى هموم حياته اليومية فيطلق العنان لخياله من أجل الجنوح إلى عوالم من الخوارق والمستحيلات ، بل لقد اعتمدته بعض الهيئات

التعليمية في بعض الدول المتطورة كمادة علمية تُلقن في المدارس والمعاهد والجامعات متأكدين بأنه واحد من الأسباب المساعدة على الإبداع والاختراع والابتكار والفكر، كما أنه محفز لغرس حب العلم وإعداد العلماء والمبدعين والمبتكرين والمفكرين، ووسيلة لإعداد جيل جديد لمواجهة صدمات وتحديات الحاضر والمستقبل. ³

(أفلام الهند 2018) فكثيرة هي الابتكارات والاختراعات

العلمية التي تنتفع بها البشرية اليوم مثل وسائل الاتصالات والمواصلات ، والأنترنت والهندسة والطب والكمبيوتر وعلم الفلك والفضاء والأسلحة الدفاعية وغيرها ، تم استحداثها بفضل فكرة أو حلم أو رواية من وحي الخيال العلمي أو سيناريو سينمائي فإذا كانت تلك حقيقة الخيال العلمي وضرورة قراءته وتعليمه للناشئة ، فهل تعتبر الحكايات الشعبية التراثية التي حملتها المصنفات العربية وغير العربية قاعدة لتحقيق هذا النوع من الأدب ؟ ، وهل تم العودة إليها من طرف الأدباء قصد استخلاص و استحداث موضوعات أدب الخيال العلمي؟. هذه أسئلة وأخرى طرحها محمد عزام في كتابه الخيال العلمي في الأدب ، سنحاول إعادة صياغتها والإجابة عنها في هذا البحث ، من خلال إعادة قراءة وتحليل ونقد ما جاء في هذا الكتاب . .

تعريف الخيال العلمي :

لقد صعب على العلماء والنقاد والأدباء الاتفاق على مفهوم واحد للخيال العلمي ، فغالبا ما يمزج فيه بين الرومانسية والعلم والتنبؤات كما يرى (هيغو جيررتسباك) Hugo Gersback الذي يقول بأنه " حكايات تحكى بأسلوب جول فيرن ((Gille Verne) . وإدجار ألان بو (E . A . Poe) (4) (محمد العبد 2007). أما (داركو سفين) فاعتبره نوعاً أدبياً يعتمد على بديل متخيل لبيئة القارئ ، ورأى (روبرت هاينلاين) أنه تخميناً واقعياً لأحداث مستقبلية (جميلة بورحلة 2010) (5) ، في حين عرّفه (غريغوري بينفورد) بأنه وسيلة تسيطر على التفكير والحلم في المستقبل . ومنهم من اعتبر الخيال العلمي نوعاً من الأدب القصصي العجائبي . في حين يعرفه - ي هينجر - " بأنه ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج

بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتكنولوجيا سواء في المستقبل البعيد أو القريب" (6) (جون جريفيس 2009). أما محمد عزام فيرى أن "الخيال العلمي نوعا من المصالحة بين الأدب والعلم ، أو على الأقل الجمع والتوفيق بينهما" (7) (محمد عزام 1994) إن هذا التعدد في المفاهيم والتعريفات التي صاحبت الخيال العلمي تجرنا إلى القول أنه "الأدب الذي يربط الزمن الحاضر بالماضي من جهة والحاضر بالمستقبل من جهة أخرى الشيء الذي يجعل الإنسان على الأقل يعرف خصمه ألا وهو الزمن وتحولاته كما هو ، إنه أدب إنساني تُلقى فيه كل الحدود العرقية والطبقات الاجتماعية". (8) (فاطمة بومعزة 2020) وعموما لقد اعتمد الإنسان على العلم لفهم ما يحيط به وتفسير حقائق هذا العالم ومعطياته ، وقد مكنته هذه الأداة من الإجابة على كثير من الأسئلة التي كان يجهل حقيقتها ، أو كانت موضعاً للتفسير الخرافي. إذن كانت الخرافة قديما الأسلوب الوحيد المعتمد والمشكّل لاعتقاد الناس ولهذا كثرت اهتمامهم بالشعوذة والسحر ، والتنجيم والكهانة وغيرها و كل تلك النشاطات لا تستند إلى قواعد علمية . إلا أن محمد عزام يطرح تساؤلات في مقدمة كتابه يقول في واحد منها : ألم يكن الخيال الشعبي مبعثا وقاعدة يقف عليها الخيال العلمي الحديث؟ (9) ، (محمد عزام 1994) ثم يحاول الإجابة عن سؤاله من خلال دراسته لبعض مظاهر الخيال الشعبي التي يحفل بها كتاب ألف ليلة وليلة ، وغايته في ذلك أنه إذا كان الخيال مبعث التفكير الإنساني ، وهو مبعث الأدب والخرافة والأسطورة و جلّ النشاطات الفكرية والأدبية ، فحتمًا هو أيضا مركز العلم ونقطة انطلاقته. فمحمد عزام يرى أن " القصص الخرافية المملوءة بأجواء السحر والجن والعفاريت تعد الأب الشرعي لقصص الخيال العلمي (10) "، (محمد عزام 1994) لما تضمنته من

أمان وأحلام صارت اليوم حقائق واقعية ، "فتلك القصص أيضا تضطلع بأداء وظيفية حدسية لا تختلف عن وظيفة قصص الخيال العلمي وإن اختلفت الوسيلة" (11). (جميلة بورحلة 2010). و معلوم أن الانطلاقة الفعلية للعلم قريبة جدا من عصرنا هذا ، إذ يحددها الكثير من المؤرخين والعلماء بعصر النهضة الأوروبية وظهور الثورة الصناعية _ أي في أواخر القرن الثامن عشر _ . فمع هذه البداية حاول أدب الخيال العلمي للانفصال الكلي عن القصص الخرافية وكل ما له صلة بالثقافة الشعبية واتّجه نحو نصرة قضايا علمية صارمة تحدّ من جنوح الخيال نحو افتراضات لا يقبلها العقل، ولا يمكن تحقيقها في الواقع ، إلا أنّ أدب الخيال العلمي في الفترات اللاحقة قد أصابه تغيير ملحوظ وانقسمت عنه أنواع عدّة ، وخصوصا بعد ترسّخ الوجود العلمي و سطوته على جميع مناحي الحياة البشرية ، وتحقيق الكثير من الافتراضات والتنبؤات التي تكهّن كتّاب الخيال العلمي منذ عقود قليلة ، هذا ما دفع بعض المؤلفين إلى إضفاء أبعاد وطرق جديدة على هذا النوع من الأدب مثل مزجهم بعض العناصر الخرافية والأسطورية عليه من دون التخلي المطلق عن العلم باعتباره ركيزة أدب الخيال العلمي في جميع أصنافه و ضروبه فنتج عن هذا المزج بين الخرافة والأسطورية، والتفكير العلمي أدبا جديدا أطلق عليه أدب الخيال العلمي الفانتازي القائم على صور ورؤى بالغة الشطط والغرابة لا تقوم على فرضيات مدروسة ، وإنّما مصدرها الحدس والتخمين والخرافة والمبالغة والإثارة (12). (شريف نهاد 2008) وبهذا التوفيق أمكن لأدب الخيال العلمي أن يمدّ التواصل بين تطورات الفكر البشري قديمه وحديثه ، وأن ينتج أساطير جديدة مفعمة بمظاهر العصر الحديث وتصوّرات الأفراد فيه. فبما أن

منها: كتاب العجائب لأبي فياض ثوبان (ت 245هـ) (عجائب الدنيا للمسعودي (ت 346 هـ)، (عجائب البحر) لهشام بن الكلبي (ت 204 هـ)، (عجائب البلدان) لأبي دُلف الينبوعي (ت 385 هـ)، المغرب عن بعض عجائب المغرب: لأبي حامد المازني الغرناطي (ت 565 هـ) وغيرها من الكتب ... ويمكن أن نضيف إليها كتاب (حي بن يقضان) لابن طفيل ت 581هـ ورسالة الغفران للمعري (ت 449 هـ) وغيرها ...

فمحمد عزام يخصص في كتابه الخيال العلمي في الأدب فصلا عنونه الخيال العلمي في التراث العربي، يؤكد فيه أن القصص الخرافية المملوءة بأجواء السحر والجن والعفاريت، تعد الأب الشرعي لقصص الخيال العلمي. وينطلق من تساؤلات يطرحها يقول: لو قيل لأبائنا: سيأتي زمان تضغطون فيه زرا فتمتلئ الغرفة نورا؟، وتطيطون في الفضاء؟، و تمخرون عباب الماء؟، لما صدّقوا مثل هذا القول واعتبروه مجرد وهم وحلم. ولكن الحلم أصبح حقيقة في القرن العشرين، بل توصل العلم إلى أبعد من أحلام الإنسان. (14) (محمد عزام 1994). مع العلم أن نفس الأسلاف والأجداد تصوروا بعض الخوارق مثل (بساط الريح) الذي يطير في الفضاء، والمارد الذي يأتي بما عجز عنه الإنسان، والخاتم السحري الذي بفركه وتحريكه يأتي بالمعجزات وغيرها من التصورات. ولكن تصورات ظلت مجرد حلم سحروا به عقولهم، إلا أن العلم حقق الكثير من تلك الأحلام الساحرة، فالطائرة أصبحت أسرع من بساط الريح، والتقنيات الحديثة (الأنترنت والكمبيوتر...) أقوى من خواتمهم السحرية، والطاقة الذرية أعظم من ماردهم، والغواصة أسرع من سفن سندبادهم ... ثم يتساءل محمد عزام قائلاً: إذا كانت تلك أحلامهم، فهل انتهت هذه الأحلام؟ فيجيب على تساؤله قائلاً: لا، لأن المرء إذا حقق حلماً تبني حلماً آخر وهذا هو سر استمراره.

الأسطورة والحكاية الخرافية قد مثلت العلم في صورته القديمة، فإن أدب الخيال العلمي بإمكانه أن يجسد للبشرية في الأزمنة اللاحقة أسطورة هذا العصر بما يصوره من مستوى تقدم العلوم وطموحات البشر فيه، وأحلامهم ومخاوفهم وتنبؤاتهم التي لا يفتأ الناس افتراضها من أجل تشكيل صورة المستقبل (13) (جميلة بورحلة 2008)

التراث الشعبي العربي قاعدة لأدب الخيال العلمي: يزخر تراثنا العربي القديم بمؤلفات انعكست فيها أصداء واقع الإنسان وحياته ومعاناته وطموحاته بما فيها من خرافات وأساطير، فالإنسان القديم أطلق العنان لخياله ليفسر كل ما صادفه في حياته من ظواهر غريبة خارقة استعصى على عقله حينها تفسيرها وتوضيحها نتيجة انعدام المعطيات العلمية التي تساعد على فهمها وإدراك أسباب حدوثها. ولقد كان هذا العجز في فهم هذه الظواهر سبباً في استرسال الخيال لملئ هذا الفراغ العلمي فتشكلت تلك الحكايات الخرافية الأسطورية، وزاد فيها الخيال بعض الإضافات المثيرة لتبدو أكثر تشويقاً وجمالاً وإثارة. والإنسان القديم لم يكتف بتصوير صراعه مع الظواهر الطبيعية التي عاشها مثل الأعاصير والطوفان والزلازل والرعد وغيرها، بل تجاوز ذلك ليصوغ من خياله قوى شريرة خارقة يتصارع معها فيغلبها وينتصر عليها في أغلب الحالات مثل العفاريت والغول والوحوش البرية والبحرية وغيرها. والأكيد أن مثل هذه الحكايات الشعبية ابتدعها الخيال الإنساني آنذاك ليعبر بها عن واقعه وطموحاته وآماله ومخاوفه. وكتاب ألف ليلة وليلة الذي اعتمده محمد عزام لتبرير رأيه كونه قاعدة أدب الخيال العلمي المعاصر يزخر بكثير من هذه القصص الخيالية الأسطورية المشوقة، كما هو شأن العديد من كتب العجيب والحكايات الشعبية العربية القديمة، نذكر

(15) (محمد عزام 1994) فعنده أن العلم قبل أن يتجسد على أرض الواقع لم يكون سوى حلم فالمعادلة عنده إذن :

الحلم أولاً	ثم	العلم ثانياً	ثم	الاختراع أخيراً
-------------	----	--------------	----	-----------------

فعنده الحلم يمهد للعلم الذي يكون سببا في التوصل إلى الاختراع وتحقيق ما كان مجرد حلم يوما ما، كما تمهد الحماسة الأدبية أو الموسيقى العسكرية للحروب قال المؤلف الأيرلندي جورج برنارد شو: "الخيال هو بداية الإبداع، إنك تتخيل ما ترغب فيه، وترغب فيما تتخيله، وأخيرا تصنع ما ترغب فيه" (16). (فاليري فان مالكوم 2018). ثم يتساءل محمد عزام قائلا: ماهي طبيعة هذا القصص العلمي؟ هل هو علم أم أدب؟ ما الذي يمنع أن يكون الاثنين معا فتعطي العلم في برشامة (17) الأدب، أو توثق الأدب في مختبر العلم (18) (محمد عزام 1994) فأدب الخيال العلمي عنده هو نوع من المصالحة بين الأدب والعلم. ثم ينتقل محمد عزام إلى دعوة القارئ إلى تصفح كتب الأدب الشعبي العربي فحتمًا سيكتشف تسلط الخيال الشعبي ممثلا في الحكاية الشعبية والأسطورة على أدب الخيال العلمي.

ويفرد محمد عزام الفصل الأول من كتابه (الخيال العلمي في الأدب) لكتاب ألف ليلة وليلة باعتباره من المصادر التي تنبض بحياة المجتمعات الوسيطة، لياليه تحكي آمال البشر وآلامهم، فأصبح الكتاب مصدرا استمدت منه الكثير من القصص والمسرحيات. وفعلا أن كتاب ألف ليلة وليلة حفل بالكثير من مظاهر الخيال العلمي. كما أنه من الكتب التي تغلب عليه الصبغة الفانتازية (19) (محمد عبد الله الياسين 2008)، وإن لم يخل من بعض الشخصيات التاريخية مثل الخليفة العباسي هارون الرشيد، والشاعر أبي نواس، والفضل بن الربيع وغيرهم وهي شخصيات التي حيكت حولها قصص و

خرافات ضمنها راوي الليالي العربية كتابه. و الكتاب عبارة عن مجموعة من الحكايات امتدت لأكثر من ألف حكاية، وكلها تنطلق لتعود إلى القصة الإطارية والمحورية وهي تدور أحداثها حول الملك الحاكم شهريار وزوجته شهرزاد. فالملك شهريار الذي قتل زوجته بعد تعرضه للخيانة الزوجية، فأصيب بعقدة كراهيته للنساء فراح يتزوج كل ليلة بامرأة ثم يقتلها في الصباح التالي لليلة الزواج قبل أن تحصل على فرصة للخيانة بحسب عقده، فحفاظا على أرواح النساء جازفت شهرزاد بنفسها ورضيت بشهريار زوجا، بل راهنت على علاج ه وفك عقده. يُظهرها كاتب الليالي بأنها امرأة جمعت بين الحسن والجمال من جهة، و حدة الذكاء وكمال العقل من جهة أخرى، كما أنها تبدو من حكاياتها أنها موسوعة في علوم وأخبار الأمم والشعوب، فعمدت إلى حلة تتمثل في الحكيم والقصص فراحت تروي لهذا الملك الذي لا يؤمن جانبه كل ليلة قصة ولا تكملها إلا في الليلة التالية، فأصبح الملك يتشوق لمعرفة نهاية الحكاية، وكان لهذا الإسهاب في الحكيم، وهذا العدد الكبير من الليالي (ألف ليلة وليلة) السبب الرئيس في شفاء الملك من عقدة الخيانة وكراهية النساء، فأحب شهرزاد واستمرت حياته معها (20) (عبد الجبار نوري 2015).

وتعد البنية السردية لكتاب ألف ليلة وليلة موطن التخيل وهذا انطلاقا من الحكايات الإطارية التي تحتويها خرافة شهرزاد (21) (ولد كرامة حكيمة 2020)، وبشكل واسع تندرج العديد من الحكايات الفرعية أو الثانوية تحت جناح الحكاية الأم أو الحكاية الأصلية وهذا ما دفع تودوروف إلى نعت حكايات ألف ليلة وليلة بالأدب الإنساني يقول: "التأكيد فيها – أي حكايات ألف ليلة وليلة - يكون دائما على الإنسان وليس على الموضوعية" (22) (تودوروف 1971)، فكتاب ألف ليلة وليلة تُبنى الليالي فيه على الخيال الشعبي

الذي يتأسس على قاعدة الحلم والرغبة في تحقيقه ،
وبالتالي هو "كتاب لا يقرأ كما تُقرأ سائر الكتب، لأن
بداخله يوجد شيء سحري" (23) (عبد الفتاح كيليطو
1996) . ولتبرير رؤيته القائلة أن أغلب أعمال أدب
الخيال العلمي قائمة على موضوعات الخيال الشعبي ،
يختار محمد عزام ثلاث ظواهر من كتاب ألف ليلة و
ليلة وهي ظاهرة الخوارق التي تشمل الجن والسحرو
ظاهرة السندباد المسافر دوما في البحار، وظاهرة
بساط الريح الذي يشبه الطائرة والأجسام الطائرة
اليوم. 24) (محمد عزام 1994)

وتلك الظواهر المختارة تعكس أحلام الإنسان
القديم ورغباته ، ولذلك لجأ إلى خياله ليبلغ بحلمه
ما عجز عن تحقيقه في واقعه ، فإذا كان الساحر قد
طغى على تفكير الإنسان قديما وكان المسيطر على
الطبيعة ، فإن الخيال الشعبي حلّ محل التصرفات
الخارقة للساحر. ولقد حفلت قصص ألف ليلة و
ليلة بذلك حيث احتشدت بالجن والعفاريت والمردة .
وسبب ذلك أن الخيال الشعبي في تلك العصور
استعاض عن العلم والواقع بالسحرو الخرافة ، و
كان الإنسان يتمنى أن يحل مشكلاته ويبلغ غاياته
بأسهل السبل .

ومن الخوارق التي حملتها الليالي العربية على
سبيل المثال حكاية حسن البصري الذي يعثر على
طاقية تساعد حين ارتدائها على الاختفاء عن أعين
الناس ، حكاية الفرس الأبنوس أو الفرس الطائر الذي
يطير بآبن الملك من بغداد إلى مدينة صنعاء باليمن و
هو فرس مصنوع من النحاس كما تصوره شهرزاد . ،
ويتحرك بمقابض لولبية توجهه نحو اليمين والشمال
، وتطير به نحو الأعلى وتحطه على الأرض ، وحكاية
علاء الدين ومصباحه السحري وغيرها

وقد جسدت ألف ليلة وليلة تلك الكائنات
الخارقة فأظهرتها في أشكال وأحجام مختلفة، منها من

يلامس رأسه السحاب وهو يمشي على الأرض ، ومنها
رأسه قبة و يديه كالمداري وفمه كالكهف وأسنانه
مثل الحجارة ومناخير أنفه كالإبريق وعينه لهاب
أحمر . وهناك أشكال عجائبية للجان فهي ذات
أجنحة عظيمة وأيد عديدة و عيون كأنها جمر نار .
25) (محمد عزام 1994) وغاية محمد عزام من بحثه
هو أن الكثير من الخوارق والمستحيلات التي حفلت بها
الليالي العربية وكُتِب العجيب التراثية ، تبناها بعض
كتاب السيناريوهات فلخرجوها أفلاما للرعب والخيال
العلمي ، وحاول هؤلاء الكتاب الحفاظ على صور تلك
المخلوقات بنفس الأشكال التي ظهرت بها في تلك
الحكايات كما هي أو أقرب إلى ذلك . أي على شكل
مخلوقات أسطورية ينتمي بعضها إلى الإنس ، وأخرى
إلى الجن وأخرى جسدها خيال مؤلفي أدب الخيال
العلمي على شكل حشرات بأحجام كبيرة أو عماليق
ترتفع عن الأرض بمسافات بعيدة أو غيلان، أو طيور
متوحشة، وغيرها من الأشكال والأحجام ... ولعل
هذا النمط من التصوير والتشكي ل للمخلوقات و
الرسوم ، كان داعيا لإثراء مضامين أدب الخيال
العلمي في العصر الحاضر كما تصوره أفلام غزو
الفضاء اليوم.

لم يقف محمد عزام عند حدود الخوارق التي
حفلت بها ليالي شهرزاد ، بل انتقل للحديث عن قصة
سيدنا سليمان 26) (محمد عزام 1994) التي أضحت
مادة دسمة لرسم قصص وأساطير خيالية ، فلقد
ألف حولها الكثير من القصص حملت الكثير من
خصائص الخيال العلمي ، فحكايات ألف ليلة صنف
المخلوقات الجنية إلى صنفين ، وحددت علاقة كل
صنف مع الإنسان ، فإذا كانت للجن علاقة حسنة مع
الإنسان تخدمه وتسهر على تحقيق مطالبه _ في
اعتقاد ورواية صاحب الليالي _ ، فإن العفاريت وهي
الصنف الثاني من الجن علاقتها بالإنسان علاقة

مغالبة وصراع . و تتجلى علمية حكايات سليمان (عليه السلام) في الليالي العربية في بسط سليمان لسلطته على الجن والتحكم فيها . وهذا الذي تريده قصص أدب الخيال العلمي حيث أن أغلب الأعمال السردية الحافلة بالخيال العلمي تصوّر الإنسان متحكماً في صناعاته واختراعاته ، يوظفها وفق الغاية التي يريد ، وذلك شأن سليمان عليه السلام مع الجن والعفاريت ، وقد ذكر القرآن سلطة سليمان المطلقة على الجن والعفاريت في كثير من المواقف منها قوله عز وجل : ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (سَبَأ:12) ، وقوله كذلك : ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ (37) وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) ﴾ (ص: 36 / 37 / 38) فسليمان عليه السلام وهبه الله قدرة رؤية الجن ومخاطبتهم والسيطرة عليهم يعاقب المسيء منهم ويجزي من أحسن ، فذلك شأن البطل في أعمال أدب الخيال العلمي .

كما تتجلى مظاهر الخيال العلمي في حكايات ألف ليلة وليلة ، في تلك التصرفات التي تقوم بها الجن مثل التخفي والطيران في الجو واختراق الجدران و السير على الماء ، وهي أمور اعتبرت في زمانها أحلاماً وأمنيات تصورتها مخيلاتهم ، إلا أن المعرفة العلمية اليوم استطاعت تحقيق الكثير منها ، وهذا يؤكد ما ذهب إليه محمد عزام من أن الحقائق العلمية الملموسة اليوم، لم تكن يوماً سوى أحلام حلم بها إنسان الأمس ، وتبناها إنسان اليوم فحققها وزاد عليها .

كما اعتبر محمد عزام الرحلات البحرية السبع التي قام بها السندباد البحري والتي جمع فيها ثروته و تجاربه أنها أصبحت قاعدة لأدب الخيال العلمي .

والحكاية الأصلية للسندباد تنفرع إلى سبع حكايات فرعية تتضمن كل رحلة حكاية ثم تعود للحكاية الأصلية ، وذلك هو الشكل الدائري المتبع في حكايات ألف ليلة وليلة . وهو أسلوب فني أقرب إلى أسلوب الرجوع إلى الخلف (فلاش باك) المستخدم في كثير من الروايات المعاصرة 27 (محمد عزام 1994). فإذا كانت أغلب الحكايات التي حملتها الليالي العربية تعدّ في باب الخيال العلمي الفانتازي ، فإن حكاية أصحاب الطاووس والبوق والفرس يمكن ربطها بأدب الخيال العلمي كون مضمونها يتصل و يتوافق مع مضامين أدب الخيال العلمي بمعناه الدقيق ولا نغالي إن قلنا في وصفها إنها قصة خيال علمي بدرجة امتياز (28) (محمد عبد الله الياسين 2008). فالمطلع على الحكاية (29) (ألف ليلة وليلة ج 2) يتبادر إلى ذهنه أن الراوي يصف طائرة نفاثة أو طوافة و كأنه مطلع على قوانين و خصائص علم الطيران ناهيك أن الفرس المذكورة في الحكاية مجهزة بمقابض ولوالب تسمح بصعودها ونزلها ودورانها يمينا و شمالا.

كما أن قصة عبد الله البحري (30) (ألف ليلة وليلة ج 2) الذي دهن صديقه عبد الله البري بطلاء يساعده على التجول في البحر دون أن يغرق أو يصيبه مكروه ، ثم اصطحبه في رحلة غريبة عجيبة في أعماق البحر حيث عرّفه على عالمه الطوبائي ، حيث يعيش الناس في سلام دون اختلاف أو صراعات يأكلون مما يوجد به البحر عليهم ، لا يولون اهتماما للآلئ و المجوهرات التي يزخر بها عالم البحار ، حتى معاملاتهم التجارية تتم بتبادل أصناف الأسماك بدون دراهم أو نقود.. وتلك من موضوعات أدب الخيال العلمي المعروف (باليوتيبيا) الذي يصور المدن الفاضلة المثالية التي لا يعتمد اقتصادها على التعاملات المالية البنكية ، و كأن المال يعكس صفو عيشهم . فقلما يشير

المجتمع الطوبائي إلى المال ، ولقد صور سيران ودي
بورجوراك سكان القمر ينشدون القصائد بدلا من
دفع الحساب ، فالطوبائيات تنظر إلى المال نظرة سلبية
، وتلجأ إلى استبداله بقيم أخرى لنشرها في
مجتمعاتهم الفاضلة للابتعاد عن شرور المال وهذا ما
حصل في مملكة البحر مجتمع عبد الله البحري (31)
محمد عبد الله الياسين (2008) .

الخاتمة :

مهما اختلف التفكير الخرافي عن الخيال العلمي بحكم
اختلاف الأزمنة ، و ما يستلزمه تعاقبها من تغير في
الأنظمة الاجتماعية وتجديد في الأساليب التفكيرية ، و
اتساع في الفكر وحلقة الوعي ، فإنه بالنسبة لمحمد
عزام أن كلا من التفكير الخرافي و الخيال العلمي
يشتركان في تمثيل نفس الوظيفة . كلاهما يسعى إلى
تفسير الظواهر الطبيعية التي تحيط بالإنسان. وعنده
أنه لا يمكن أن نتجاهل حقيقة هي أن الكثير من
الخرافات والأساطير كانت سندا لانبعاث العلم وتجليه
في العديد من مظاهر الحياة . فالعلم بالمفهوم الحديث
ما هو إلا وريث وإن كان بصورة غير مباشرة للمعارف
التي اكتسبها الإنسان بالخبرة والأسطورة والخرافة
(32) (محمد عبد الله الياسين) . فالسحر كان ممهدا
لعلمي الكيمياء والأحياء (33) (فؤاد زكريا 1978) كما
حل علم الفلك محل التنجيم (34) (محمد وائل يسر
الأتاسي 2002) . فالأحلام التي جسدت القصص
الشعبية في شكل قصص خيالية ، تدل في الغالب على
مدى الحاجة التي كان يستشعرها الإنسان يومها ، و
التي خانت قدراته العلمية و المعرفية حينها من
تحقيقها . فالبساط الطائر ، وخاتم سليمان و سلطته
على المخلوقات الأخرى ، و الخاتم السحري وغيرها من
الأحلام التي راودت الإنسان القديم وإن كانت مجرد
أحلام ، فإنها اليوم أصبحت حقيقة واقعية .

الهوامش :

- 1- - رحيل عميد الخيال العلمي العربي: صفات سلامة: الشرق الأوسط: 8 يناير 2011م: العدد: 11729
- 2- - نفس المصدر، 8 يناير 2011م: العدد: 11729
- 3- - أقلام الهند : مجلة إلكترونية فصلية – السنة الثالثة – العدد الرابع – أكتوبر ديسمبر 20184-
- 4- الخيال العلمي استراتيجية استراتيجية سردية محمد العبد مجلة فصول العدد 71 الهيئة المصرية العامة للكتاب صيف خريف 2007 ص 28
- 5- - أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية جميلة بورحلة – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير – جامعة سطيف سنة 2010/2009 ص
- 6- - ثلاث رؤى للمستقبل جون جريفيس ترجمة رؤوف وصفي الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ط / 2009 ص 7
- 7- - الخيال العلمي في الأدب محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994 ص 9
- 8- - أدب الخيال العلمي سؤال المفهوم والأنواع فاطمة بومعزة مجلة اللغة العربية المجلد 22 العدد 50 الثلاثي الثاني 2020 ص 17
- 9- - ينظر الخيال العلمي في الأدب . محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994 ص 9
- 10- - الخيال العلمي في الأدب محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994 ص 07
- 11- - أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية جميلة بورحلة – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير – جامعة سطيف سنة 2010/2009 ص 17
- 12- - الخيال العلمي أكثر ألون الأدب إثارة شريف نهاد . مجلة الخيال العلمي وزارة الثقافة – دمشق عدد 01 / 2008 ص 14
- 13- - أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية جميلة بورحلة – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير – جامعة سطيف سنة 2010/2009 ص 18
- 14- - الخيال العلمي في الأدب محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994 ص 7
- 15- - نفسه ص 8

¹⁶ -The secret to creativity – according to science, by Valerie van Mulukom, The Conversation, Published: January 3, 2018

• القرآن الكريم

- 1 - أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية جميلة بورحلة – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير – جامعة سطيف سنة 2010/2009
- 2 - أدب الخيال العلمي سؤال المفهوم والأنواع فاطمة بومعزة مجلة اللغة العربية المجلد 22 العدد 50 الثلاثي الثاني 2020
- 3 - أقلام الهند : مجلة إلكترونية فصلية – السنة الثالثة – العدد الرابع – أكتوبر ديسمبر 20184-
- 4 - ألف ليلة وليلة ج 2 مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – د ت ص 248
- 5 - التخيل في ألف ليلة وليلة في ضوء نظريات السرد الحديث : ولد كرامة حكيمة رسالة دكتوراه جامعة مستغانم 2021/2020
- 6 - التفكير العلمي : فؤاد زكرياء – عالم المعرفة / 1978
- 7 - ثلاث رؤى للمستقبل جون جريفيس ترجمة رؤوف وصفي الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة - / 2009
- 8 - حكايات ألف ليلة وليلة ---- الفانتازيا والخيال العلمي عبد الجبارنوري مجلة الحوار المتمدن العدد 4852 / 2015 السويد
- 9 - الخيال العلمي استراتيجية استراتيجية سردية محمد العبد مجلة فصول العدد 71 الهيئة المصرية العامة للكتاب صيف خريف 2007
- 10 -الخيال العلمي أكثر ألون الأدب إثارة شريف نهاد . مجلة الخيال العلمي وزارة الثقافة – دمشق عدد 2008 /01
- 11 -الخيال العلمي في الأدب محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994
- 12 -الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة . محمد عبد الله الياسين أطروحة ماجستير جامعة البعث 2008
- 13 -دور التقانة والأسطورة في ولادة العلم . محمد وائل يسرأتاسي – مجلة المعرفة سوريا عدد 460 يناير 2002

- ¹⁷ - أغلفة دقيقة يُضع فيها الدواء و يبتلعها المريض فلا يحس بمرارة الدواء
- ¹⁸ -- الخيال العلمي في الأدب محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994 ص 9
- ¹⁹ - الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة . محمد عبد الله الياسين أطروحة ماجستير جامعة البعث 2008 ص 72
- ²⁰ - حكايات ألف ليلة وليلة ---- الفانتازيا والخيال العلمي عبد الجبارنوري مجلة الحوار المتمدن العدد 4852 / 2015 السويد
- ²¹ - التخيل في ألف ليلة وليلة في ضوء نظريات السرد الحديث : ولد كرامة حكيمة رسالة دكتوراه جامعة مستغانم 2021/2020 ص 84
- ² - poetique de la prose. Tzevan Todorov. edition du seuile Paris VI 1971 p 67
- ²³ - العين والإبرة : عبد الفتاح كيليطو – دراسات في ألف ليلة وليلة ترمصطفى النحال الدار البيضاء – الفنك العربي للنشر و الترجمة 1996 ص 10
- ²⁴ -- الخيال العلمي في الأدب محمد عزام ص 13
- ²⁵ - ينظر الخيال العلمي في الأدب : محمد عزام ص 14
- ²⁶ - ينظر الخيال العلمي في الأدب : محمد عزام ص 17
- ²⁷ - الخيال العلمي في الأدب محمد عزام دارطلاس للدراسة و الترجمة والنشر – دمشق ط 1 / 1994 ص 20
- ²⁸ - الخيال العلمي في الأدب العربي في ضوء الدراسات المقارنة محمد عبد الله الياسين ص 72
- ²⁹ - ألف ليلة وليلة ج 2 مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – د ت ص 248
- ³⁰ - ينظر ألف ليلة وليلة ج 4 ص 237
- ³¹ - الخيال العلمي في الأدب العربي في ضوء الدراسات المقارنة محمد عبد الله الياسين ص 75
- ³² - أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية جميلة بورحلة – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير – جامعة سطيف سنة 2010/2009 ص 35
- ³³ - ينظر التفكير العلمي : فؤاد زكرياء – عالم المعرفة / 1978
- ³⁴ - ينظر دور التقانة والأسطورة في ولادة العلم . محمد وائل يسرأتاسي – مجلة المعرفة سوريا عدد 460 يناير 2002

المراجع :

14 -رحيل عميد الخيال العلمي العربي: صفات سلامة:

الشرق الأوسط: 8 يناير 2011م: العدد: 11729

15 -العين والإبرة : عبد الفتاح كيليطو – دراسات في ألف

ليلة وليلة ترمصطفى النحال الدار البيضاء –

الفنك العربي للنشرو الترجمة 1996

المراجع الأجنبية :

1- The secret to creativity – according to science, by
Valerie van Mulukom, The Conversation, Published:
January 3, 2018

2- poetique de la prose. Tzevan Todorov. edition du
seuile Paris VI 1971 p 672